مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد الثامن
1991 م.

مُراجعة كتاب

التنصير القسري لمسلمي الأندلس

في عهد الملكين الكاثوليكيين

«1474 — 1516م»

تأليف :

الدكتور محمد عبده حتاملة

عرض وتقديم وتعليق :

الأستاذ معالي عبد الحميد حمودة

كتاب (التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين) من الكتب المهمة التي تتناول جزءاً من تاريخ المسلمين في الأندلس. فالكتاب يتناول أوضاع المسلمين إبان سقوط غرناطة وما تلا ذلك بالدراسة والعناية، خاصة وأن أغلب المؤرخين في ميدان الدراسات الأندلسية لم يلتفتوا إلى دراسة هذه الفترة.

كما أن الكتاب يقدم **لأول مرة** أول ترجمة عربية كاملة للنص الإسباني لمعاهدة تسليم غرناطة بشقيها **العلني**

والسري. كما يقدم الكتاب احصائية شاملة للموريسكيين في منطقة غرناطة

زمن الملكين الكاثوليكيين (فرديناند وايزابيلا).

يضم الكتاب مقدمة المؤلف، ثم مصادر البحث، ثم قسم المؤلف كتابه إلى موضوعات ـ دون فصول أو أبواب ـ وكان بين هذه الموضوعات صور لبعض الشخصيات التاريخية، والأماكن الأثرية، واللوحات والزخارف وما إلى ذلك.

يبدأ الكتاب بموضوع بعنوان (معاهدة تسليم غرناطة) وهي المعاهدة التي عقدت بين أبي عبد الله الصغير، والملكين الكاثوليكيين: ضون فرديناند وضونيا ايزابيلا بتاريخ 21 محرم سنة 897 هـ الموافق 25 تشرين الثاني سنة 1491 م.

وقد أورد الكتاب الترجمة الكاملة للمعاهدة المكونة من 47 مادة وهي ما يمكن أن نطلق عليه المعاهدة العلنية لتسليم غرناطة. ومن المهم الإشارة إلى أن هذه المعاهدة بكافة بنودها كانت مجرد حبر على ورق من قبل الملكين الكاثوليكيين، فلم تنفذ سلطات إسبانيا النصرانية مادة واحدة من موادها، والذي نفذ المعاهدة وكافة بنودها هو الطرف المستسلم ملك غرناطة (أبو عبد الله الصغير).

ويورد المؤلف أنه في نفس اليوم الذي وقعت فيه معاهدة تسليم غرناطة وهو يوم 25 نوفمبر عام 1491 وفي المكان نفسه ـ المعسكر الملكي بمرج غرناطة ـ أبرمت معاهدة أخرى **غاية في السرية ملحقاً للمعاهدة العلنية**. وقد مثل المسلمين في هذه المعاهدة السرية القائد (أبو القاسم المليح) وكيلاً لأبي عبد الله الصغير ملك غرناطة، وقعها باسمه، ومهرها بخاتمه، وهي تنحصر في ست عشرة مادة.

يقول المؤلف بعد ذلك:

(وخلاصة القول أن ما ورد في نص معاهدة تسليم غرناطة الأنفة الذكر، وما جاء بها من امتيازات، كفيلة أن تضمن للمسلمين في الأندلس، ممارسة حياتهم ولغتهم وشعائرهم الدينية وانظمتهم... ثم تبين فيما بعد كيف نكث الملكيون الكاثوليكيون العهد، ونقضا الشروط التي أقسما على تنفيذها حرفياً إلى أجل غير مسمى).

ومن السخرية، أنه نجد من خلال مطالعتنا للكتاب وللمعاهدتين العلنية والسرية، أن الملك فرديناند والملكة ايزابيلا، وسائر من حرروا الشروط، أدوا القسم بدينهم وأعراضهم أن يصونوا المعاهدة إلى الأبد؟ وقد التزم الطرف المستسلم بذلك، أما الطرف المنتصر الفائز فقد أعمل سيفه النصراني في اليوم

التالي لتوقيع المعاهدة على الفور ؟.

وتحت عنوان (سياسة الملكيين الكاثوليكيين الداخلية منذ تسليم غرناطة حتى عام 1500 م) يتناول الكتاب بعد توقيع المعاهدة مغادرة الملكيين الكاثوليكيين قلاع الحمراء بغرناطة، تاركين شؤون إدارتها لمجلس مكون من بعض المسؤولين في الحاشية الإسبانية، حسب التعليمات التي كانوا يتلقونها من قبل الملكيين الكاثوليكيين وذلك تنفيذاً لمعاهدات الاستسلام.

ويذكر المؤلف أن هذا المجلس **كان على اتصال سري بالبابا إسكندر السادس كردينال (بلنسيه) واسقفها السابق. وبعد هذا أخذت سياسة التسامح التي أعلنها المجلس تتوارى، بحيث عجز المجلس عن تنفيذ الشروط المتفق عليها في معاهدات الاستسلام، واعتبر المجلس هذه الشروط باطلة المفعول، إذ فرض على المسلمين أحد أمرين:**

1 ـ التنصير القسري.

2 ـ التهجير القسري.

ويقرر المؤلف أنه في (اليوم التالي) لتوقيع المعاهدة، بدأ نكث المواثيق والعهود. إذ صدر الأمر بإحراق مليون وخمسمائة ألف كتاب ديني بما فيها من الوثائق والمخطوطات والمصاحف التي تتعلق بالدين الإسلامي، لكي يسهل على الإسبان ابعاد المسلمين عن مصادر عقيدتهم الإسلامية ويسهل القضاء عليهم بالسرعة الممكنة.

ويقول المؤلف:

(ولم تكن مصيبة المسلمين في سقوط غرناطة، بأشد وقعاً على نفوسهم من إجبارهم على تغيير عقيدتهم التي ضحوا في سبيلها بآخر قطرة من دمائهم).

ويتناول الكتاب بعد ذلك بعض ما استخدم ضد مسلمي الأندلس، حينما كان يتم أخذ أطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 5-12 سنة ليربوهم تربية خاصة في المعاهد المسيحية، ويلقنوهم المسيحية ويزرعوا في قلوبهم التعصب المقيت ضد ذويهم المسلمين. وبعد نضوجهم يستعملون أداة للتجسس عندما يعودون إلى أهاليهم.

ويشير الكتاب إلى أنه كان من بين **دوافع الإسراع في عملية التنصير القسري**، أن الملكة ايزابيلا كانت أشد تعصباً من زوجها فرديناند، لعلاقتها الوثيقة بالاساقفة والرهبان من رجالات الكنيسة، **حتى أن الملكة أصبحت بمثابة ورقة رابحة في أيدي الاساقفة والرهبان، ونفّذوا من خلالها كل ما يريدون تنفيذه**

من مذابح وإجرام ووحشية لم يسبق لها مثيل.

وأشار الكتاب بعد ذلك إلى حرمان المدجنين (المسلمون الذين ظلوا على دينهم بين الإسبان قبل سقوط غرناطة وانتهى بهم الأمر إلى مصير الأندلسيين الموريسكيين نفسه) المقيمين في مملكة غرناطة، من شراء الأراضي والعقارات، وتوطين الإسبان في أماكنهم، وأصدر الإسبان مرسوماً يحرم على مدجني الأندلس ونسائهم وأطفالهم أن يغتسلوا أو يستحموا في أي مكان خصص لغاية الاستحمام، وأن تهدم جميع الحمامات العامة التي كانت منتشرة في جميع أنحاء غرناطة، وحرم عليهم حمل السلاح، ثم فرض التاج الإسباني عليهم ضرائب جديدة باهظة (دون غيرهم من الناس) وكان هذا كله تمهيداً لقيام الثورات المتتابعة المناوئة للحكم والتي كانت بمثابة ردود فعل من قبل المسلمين إزاء ما وقع عليهم من اضطهاد وعنصرية وتعصب مسيحي مقيت.

ويواصل الكتاب فضح السياسة الكاثوليكية المتعصبة الحاقدة، ففي عام 1498 م اجريت عملية عزل العناصر الإسلامية عن المجتمع الإسباني، ووضعوا في أماكن معينة، وذلك ليسهل السيطرة والقضاء على العناصر الإسلامية في حالة نفورهم.

ويشير المؤلف إلى الدور الخطير الذي لعبه الأب (خمنيس دي سيسنيروس) مطران طليطلة في إبادة المسلمين، فقد أحرق هذا الأب الكتب العربية بغرناطة، ووضع هذا الكم الهائل من الكتب في أكداس هائلة في ميدان (باب الرملة) أعظم ساحات المدينة، وأضرم فيها النيران جميعاً، وقد تم تعيين هذا الأب رئيساً أعلى لديوان مجمع قضاة الإيمان الكاثوليكي، أو محاكم التفتيش التي تأسست في إسبانيا، واتخذتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ذريعة وسلاحاً فتاكاً تسحق به كل من يرفض الإذعان لأوامرها.

وتناول الكتاب الإشارة إلى بعض جلسات ديوان مجمع قضاة الإيمان الكاثوليكي (محاكم التفتيش) الذي أصدر أحكاماً بالموت حرقاً، وأحكاماً بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة. ويذكر المؤلف أنه مثلاً في مدينة (أبله) تم حرق أكثر من 113 شخصاً بين عامي 1499 و 1502 م وفي (طليطلة) مثل أمام المحكمة 1200 شخص حكم عليهم بالإعدام في جلسة (إيمان) واحدة. وكان يطلب فيها من الشخص إما الإيمان

بالمسيحية وترك الإسلام أو الموت حرقاً؟؟ ومن هنا جاءت التسمية بجلسات الإيمان؟؟ كما أشار المؤلف إلى إجبار الفتيات المسلمات على الاقتران القسري برجالات النصارى، وكذلك إجبار المسلم على الزواج بنصرانية وعدم السماح له بالزواج من مسلمة.

وتحت عنوان (انتفاضة البيازين عام 1499 م) تناول الكتاب الضغوط الهائلة التي تعرض لهاالموريسكيون، والتعذيب الذي وقع عليهم، هذا الغليان كله تفجر في حادثة أقدم عليها مفوض الشرطة (نويفو) وخادم الكردينال السفاح (سيسنيروس) حيث اعتديا على ابنة مسلم من أصل إسباني في ساحة (باب البنود) في حي البيازين.

كانت هذه الحادثة القشة التي قصمت ظهر البعير، فهب الموريسكيون في انتفاضة عارمة، وقتلوا مفوض الشرطة، واتجهوا إلى بيت الكردينال السفاح (سيسنيروس) للفتك به، ولجأ الأب الدموي إلى حاكم مدينة غرناطة، واقنعه بإرسال حملة كبيرة لإبادة المنتفضين الموريسكيين، واتجهت الحملة لتفنيذ مهمتها، لكنها لم تفلح حيث واجهها الموريسكيين بالحجارة والمتاريس. ثم اتجهت حملة ثانية لِوَأْدِ الانتفاضة وبعد عدة محاولات من الطرفين هدأت الانتفاضة.

وبعد انتفاضة البيازين عام 1499، قرر النصرانيان: فرديناند وايزابيلا اللجوء إلى المزيد من العنف، فتم تعميد أبناء المسلمين قسراً، وتعميد الكبار منهم، وصدرت القرارات بمنع أي موريسكي من الدخول إلى مملكة غرناطة، ووصل الأمر أنه في يوم العشرين من يوليو عام 1501 م صدر مرسوم من الملكيين الكاثوليكيين يحرم على الموريسكيين ممارسة كل ما يمت إلى الإسلام واللغة العربية بصلة.

كان لهذه الإجراءات الإرهابية العنيفة أثرها في أن الموريسكيين لم يجدوا بداً من اللجوء إلى الجبال، ليشنوا منها على الإسبان غارات متعددة، معتبرين هذه الغارات جهاداً في سبيل الله ودفاعاً عن إسلامهم ودينهم.

ثم يتناول الكتاب بعد ذلك (ثورة البشرات عام 1501م) وهذه الثورة جاءت كتلبية من المسلمين في منطقة البشرات في جنوب غرناطة الذين تأثروا بالانتفاضة الموريسكية في البيازين.

أرسل الإسبان حملة لوأد ثورة (البشرات) وقامت هذه الحملة بقتل جميع من في قرية (غويخار ـ سيرا) حيث

لم تجد الحملة عندما وصلت سوى النساء والأطفال والكهول فقتلوهم جميعاً دون هوادة أو رحمة، وأحرقوا القرية والمنازل.

واستمرت مذبحة حكام إسبانيا النصرانية ورجال الديانة الكاثوليكية ضد الموريسكيين في (البشرات) وغيرها ويستشهد المؤلف بما قاله الباحث الانكليزي (و. برسكوت) عند إشارته إلى «العقاب» الذي أنزل بمسلمي البشرات. يقول الباحث الانكليزي:

(إن الكونت «ليرين» نسف مسجداً مليئاً بالنساء والأطفال، وكان الإسبان يقترفون أبشع الجرائم، وكانت تراق أنهار من الدماء. وفي أثناء هذه الحروب الأهلية كان النصارى يبتعدون كل البعد عن شعورهم الديني، فاقدين له ولشعورهم. لأن الموريسكيين في نظرهم مجرد عبيد واتباع ورقيق. ولم يتعرض الموريسكيون لهذا العقاب فحسب، بل للإبادة التامة).

وواصل الإسبان مذابحهم، وقاوم الموريسكيون مقاومة باسلة، ولكن لم تفلح كل انتفاضاتهم حيث تغلب السيف النصراني الإسباني عليهم، وخيّروا بين التنصير القسري أو التهجير إلى خارج إسبانيا.

نتج عن هذا كله تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة كبرى، وتحويل مسجد البيازين إلى كنيسة. وفي مدينة غرناطة وضواحيها تم التنصير (قسراً) لأكثر من خمسين ألف شخص، وحولت جميع المساجد إلى كنائس، كما أجبر مسلمو الأندلس على نبذ ملابسهم العربية، وإجبارهم على ارتداء السراويل والقبعات وترك لغتهم وتقاليدهم ومراسمهم وأسمائهم العربية، وحُملوا على اعتناق الديانة المسيحية.

ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى الحديث تحت عنوان (استغاثات أندلسية متأخرة لطلب النجدة من الحكام المسلمين) وهذا الموضوع يوضح مأساة ترك الموريسكيين وحدهم أمام السيف النصراني الإسباني.

يبين المؤلف ـ في هذا الموضوع ـ كيف أن الموريسكيين أرسلوا استغاثات مؤلمة لطلب النجدة، فأرسلوا بداية إلى إخوانهم المغاربة الذين لم يفعلوا لهم شيئاً لأنهم كانوا في وضع سيء ضعيف ومفكك، كما أرسلوا إلى السلطان بايزيد الثاني سلطان الإمبراطورية العثمانية، إلا أن السلطان كان مشغولاً بالخلافات الأسرية، وكان أيضاً ضعيفاً، واكتفى بتوجيه رسالة إلى الملكين الكاثوليكيين

لم يعملا بشيء منها وكان ذلك بعد انتفاضة البيازين عام 1499 م.

ويورد المؤلف قصيدة مؤثرة - غاية في التأثير - يرسلها الموريسكيون إلى بايزيد الثاني، وهي قصيدة تعتبر وثيقة إسلامية محزنة تصور الوضع المأساوي في الأندلس، من بين أبياتها:

سلام عليكم من عَبيد تخلَّفُوا
بأندلس بالغَرْب في أرض غُرْبه
أحاط بهم بحر من الرُّوم زاخرٌ
وبحر عميق ذو ظلام ولُجِّه
سلام عليكم من عبيد أصابهم
مُصاب عظيم يا لها من مُصيبه
سلام عليكم من شيوخ تمزقت
شُيُوبهم بالنتف من بعد عزِّه
سلام عليكم من وجوه تكشفت
على جملة الإعلاج من بعد سَتْره
سلام عليكم من بنات عواتق
يسوقهم اللُّبَّاط قهراً لخَلْوه
سلام عليكم من عجائز أُكْرهت
على أكل خنزير ولحم لجيفِه

وقد بلغت القصيدة 103 بيت.

وأرسل الموريسكيون استغاثتهم الثالثة إلى الملك الأشرف قانصوه الغوري سلطان دولة المماليك البرجية بمصر، فأرسل الغوري إلى الملكيين الكاثوليكيين يحذرهم من مغبة مذابحهم.

ولكن لَعِبَتْ «المفاوضاتُ السياسية» و«السفراء والمندوبون» لعبتها المعروفة، إذ أُرسل للغوري سفير من قبل الإسبان يخبره بأن الإسبان يعاملون الموريسكيين معاملة حسنة، وأن لهم الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الإسبان؟

لم يبق أمام الموريسكيين بعد أن خابت آمالهم في نجدة إخوانهم إلا الموت، أو التنصير القسري، أو الهجرة القسرية خارج البلاد.

وتحت عنوان (الموريسيكيون يمارسون الطقوس الإسلامية سراً) يتناول المؤلف كيف أنه أُنزلت العقوبات الصارمة بالموريسكيين، وكانت معاملة المسلمين تسير من سيء إلى أسوأ، حتى إن فرديناند وايزابيلا أرسلا أمراً إلى حاكم قرطبة، يطلبان منه (اتخاذ قرار حازم يقضي بقتل المسلمين الرافضين للتنصير أو طردهم خارج الأندلس) ومنذ ذلك الحين تلاحقت المراسيم الملكية بإقصاء المسلمين عن وطنهم في شبه جزيرة ايبريا.

ويستعرض الكتاب كيف أن الموريسكيين كانوا يمارسون الطقوس الإسلامية سراً، وكان من يضُبط منهم

يعاقب بالإعدام أو بالطرد من إسبانيا. وكانوا يصلون سراً يوم الجمعة، وكانوا يؤدون صلاتهم في بيوتهم بحذر شديد، وكانوا يغلقون على أنفسهم بيوتهم أيام الآحاد، موهمين الطرف النصراني بأنهم ذهبوا إلى الكنيسة. وكانوا يعقدون حفلات الزواج على الطريقة الإسلامية سراً.

وعلى الرغم من هذا كله، وعلى الرغم من المذابح المستمرة التي قام بها الإسبان ضد المسلمين، فإن الملكة ايـزابيـلا وهي على فراش الموت أوصت (بمتابعة الحرب ضد أعداء الإيمان المسيحي) تقصد الموريسكيين. وفي عام 1516 م مات الملك فرديناند وأوصى أولاده قـائـلاً:

(عليكم أن تعملوا على تحطيم اتباع الديانة المحمدية).

أما آخر موضوعات الكتاب بعنوان (إحصائية بالموريسكيين أثنـاء حكم الملكيين الكاثوليكيين) وهو موضوع تناول فيه المؤلف عدد سكان غرناطة والمدن الأخرى مثل (مالقا) و(بلش) و(وادي اش) و(لوشة) وغير ذلك. كما تناول المؤلف أعداد الأسر المسلمة في المدن والقلاع والحصون والأقاليم.

وأنهى الكتـاب صفحـاتـه ببعض الخرائط وفهرس للإعلام والأماكن ثم قائمة بالمصادر العربية والإسبانية.

ملاحظات عامة:

* من جهة طبع الكتاب، فالكتاب على الرغم من أن الجامعة الأردنيـة ساعدت على نشره، إلا أن طبعته جاءت ينقصها الكثير من الناحية الفنية وطريقة الإخراج.

* كان في رأينا من الواجب أن يسبق موضوعات الكتاب، مقدمة تـاريخية تفصيلية تصور الصراع وجذوره في الأندلس، والعوامل والأسباب التي أدت إلى سقـوط غرنـاطة، ثم تتـواصل موضوعات الكتاب. ومن جهة أخرى فإن عناوين الموضوعات كانت طويلة، وكان في الإمكان تجزئتها إلى عنوان رئيسي ثم عناوين فرعية.

* وللمزيد من تنظيم عرض الكتاب كان يتعين أن توضع كافة الخرائط والصور التاريخية في نهاية الكتاب على صورة ملاحق.

* إننا إذ نعترف للمؤلف بالسبق في ذكر معاهدة تسليم غرناطة باللغة العربية نقلاً عن النص الإسباني، إلا أنه كان في وسع المؤلف أن يتناول تحليل مواد

المعاهدة مادة مادة ويربطها بالأحداث التاريخية الواقعة في تلك الفترة.

وإذا تمت معالجة هذه الملاحظات ـ التي لا تقلل إطلاقاً من مكانة المؤلف ولا كتابه ـ في الطبعة التالية للكتاب فسيكتمل الكتاب تماماً خاصة كما ذكرنا أنه من الكتب المهمة التي تتناول سقوط غرناطة وتنتهي بالتطبيق الشامل للتنصير القسري لمسلمي الأندلس.

والله من وراء القصد.

تحية لجيل ثورة الحجارة

الدكتور محمد مصطفى صوفية

ألا فلْتحيُّوا شباب البطوله ... شباب فلسطين فرع الرجوله
ألا فلتحيوه في عيده ... تحية حر يُحيِّي خليله
شبابا تصدى لظلم وقهر ... وغدر عدو ومكر وحيله
ولبى ـ حماسا ـ أمانيَّ شعب ... ليرفع رايات مجد أصيله
ويحمي أرضاً وعرضاً ويحيا ... كريم الحياة عزيز الرجوله
وما من سلاح له غير عزم ... وإيمان حر ومهد الطفوله
فصارت حجارته في يديه ... سلاحاً قوياً وناراً صؤوله
تهد كيانا دخيلاً بأرض ... فداها الألى لم تخنهم رجوله
فهب الشباب وما في يديه ... سوى حجر ماله من فتيله
عدا أنه كان أقوى سلاحاً ... تخاف لظاه فلول دخيله
مدججة بسلاح ولكن ... بها رعب قلب وأيد كليله
فان السلاح بمن في يديه ... سلاح الجبان بأيد ثقيله
فهب الشباب بحزم وعزم ... ليمحو عارا ويشفي غليله
ويطرد يأسا وهول ضياع ... أراد عدو به أن يطيله
فثارت به ثورة السحر يوماً ... فأشعلها نار حرب طويله
وروت دماه ثرى كل شبر ... فدا وطن لا يروم بديله
بني العرب هبوا لنصرة شعب ... أراد الحياة فحطم ليله
ومزقه ليعانق صبحا ... يطارد جند الفلول الهزيله
شبعنا كلاماً شبعنا وعودا ... فما حرر الشعب غير البطوله

فهل من فعال تجسد قولا ... تكفكف دمعاً لعين هميله
تضمد جرحاً لشيخ وطفل ... وتأخذ ثأراً لأم قتيله
وهل من شهامة حر أبي ... فأين العمومة؟ أين الخؤوله
وأين العقيدة؟ أين بنو الشر ... ق تزأر أسْداً بأرض خليله
لتحمي كنيساً وتحمي قدساً ... أبت أن تداس وتبقى ذليله
وينعم شعب بعيشة عز ... لماذا الهوان وباليد حيله؟
فصدق العزائم أمضى سلاحاً ... ووحدة صف بنصر كفيله
وجيل التحدي تحدى عدواً ... بنصر غدا يستحث خيوله
فبشرى بنصر أتى وعد حق ... لمن للهدى قد أغذ ذميله
وهذي أماني حرٌّ وفيٌّ ... لشعب أصيل وأرض البطوله
فإن كان قول الفتى في فؤاد ... فَحرٌّ قصيدي أضحى دليله
ويا أيها الشعب شعب التحدي ... إليك تحاياي نشوى أصيله
ألا فلتحيوا شباب البطوله ... شباب فلسطين فرع الرجوله

في رثاء الفقيد

الأستاذ محمد الأسطى[1]

الأستاذ عمار جحيدر
مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

أبكيك.. أم يبكي العراق كياني ... أم تغرقُ الأحزانُ في الأحزان
حزنان بل حزنٌ عميقٌ واحد ... ومُلامحي عينان باكيتان
يا دجلةَ الخير اتئِدْ بمشاعري ... إنَّ الفراتَ حريقُهُ بلساني
هذا المؤرخُ راحلٌ، وكتابُهُ ... بيمينه، والحزنُ في العنوان
تسعون عاماً في الحياة ولم يَعِشْ ... يوماً كيوم مذلةٍ وهوان
يتسابق الاعراب نحو فنائهم ... وكأنهم قطعٌ من الخذلان
يا آسي الأرواح هل من ساعةٍ ... أُلقي عليها لوعة الأشجان
لا زال يُطعِمُنا الزمانُ كآبةً ... هذا الزمانُ الجهَمُ.. أيُّ زمانِ
ثقلت موازين الحياة، ولم تزن ... إلا شقاءً كفَّةُ الميزان

* * *

وأثيت (للتاريخ) في محرابه ... وَرعَاً لاقرأ قصة الحَدَثَان
في (القلعةِ الحمراءِ) ركنٌ هادئٌ ... ضِلعاهُ بين البحر والميدان
وخطوت أسعى في طريقٍ مصعَدٍ ... ينتابني شيءٌ من الطوفان
وجلستُ للرجل الكبير تروعني ... نظارةٌ لمعت بها عينان
أستاذيَ الأسطى وكم في ذهنه ... وكأنه جمعٌ من الأذهان!

(1) الأستاذ محمد الأسطى مؤرخ ثبت في تاريخ الدولة العثمانية أفاد منه عدد كبير من الكتاب الذين تناولوا هذه الفترة بالبحث والدراسة، وقد وافاه الأجل المحتوم في شهر النوار من هذه السنة 1991م. فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

خـالـستُـهُ نَـظَري إلى جلسـاتـه فـرأيـت فيـهـا جِلسـةَ الـرهـبـان
وظـللت أكبـرُ مكتبـاً متـواضعـاً وكـأنـنـي أرنـو إلـى إيـوان!

* * *

يـا راهـبَ التـاريـخ إني مـخلصٌ لأبـوَّةٍ تـسـري إلـى وجـدانـي
سـأظـل بين وثـائقٍ وخـطوطـهـا مستغـرقـاً في عهـدهـا العثمـاني
حـتى الـلقـاءِ وكـلُّ شيءٍ قـائـلٌ إنَّ الـحـيـاةَ دقـائـق وثـوانِ